التغريب في روايـــة نـهايـة الخطأ .. دراسة تحليلية

د. خالد بكري عبد المقصود (*)

تقديم:

ظل التغريب ولا يزال يشكل مصدراً من مصادر إلهام كتـــاب الروايـــة السواحيلية في محاولة منهم لإلقاء الضوء على هذه القضية المهمة، مبينين آثارها على الفرد والمجتمع. والتغريب كما ورد فـــي المعجـــم الـــسواحيلي (kamusi ya Kiswahili sanifu)[1]هو إتباع الإنسان عـــادات وتقاليـــد غير محمودة. وهذا المضمون لم يختلف كثيرًا عما جاء في بعض المعـــاجم الأخرى التي اتفقت جميعها على المعنى نفسه دون أن يكون بينهـــا خـــلاف يذكر، حيث تشير في مجملها إلى أنه تغيير يطرأ على عادات وتقاليـــد فئـــة من البشر الذين اتبعوا أفكارًا وسلوكيات أبعدتهم عن ما هو مألوف وســـائد في مجتمعاتهم.

والحال كذلك بالنسبة لنقاد الأدب [٢] المهتمين بهذا الموضوع، حيـــث وردت تعريفاتهم متجانسة مع ما ذهبت إليه هذه المعاجم، متفقة إلـــى حـــد كبير مع ما جاء بها. وها هو واحد منهم يقدم تعريفاً دقيقاً للتغريب ضـــمن تعليقه على رواية نهاية الخطأ mwisho wa kosa عندما قال:

"ni hali ya kutengwa na kubaguliwa na asili na jadi ....na kuakisi sifa, tabia au matendo yanayohusishwa na jamii nyingine aghlabu za kimagharibi"[3]

"حالة من الانفصال والابتعاد عن الأصول والأجـــداد، ويعكـــس صـــفاتًا وطباعًا وتصرفات تتعلق بالمجتمعات الأخرى أغلبها غربية".

وهكذا يتضح أن التغريب يمثل حالة انفصال عن قيم وعادات وتقاليـــد المجتمع الذي تربى فيه الإنسان، وتمسكه بعادات وتقاليد غربية مع مجتمـــع آخر عاش فيه لفترة.

(*) مدرس بقسم اللغات الإفريقية – كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر.

السمات العامة لرواية نهاية الخطأ:

استخدمت زينب برهان Zainb Burhani أسلوباً روائياً بسيطاً مركزة جل اهتمامها على استخدام خاصية الاسترجاع. وتعتبر هذه الرواية من أفضل ما أنتجته هذه المؤلفة[٤]، حيث تناولت فيها عدداً من الشخصيات حاولت من خلالها إلقاء الضوء على قضية التغريب، وما قد يترتب عليه من آثار، سواء على الفرد أو المجتمع، هذه الآثار التي تثير حفيظة الأدباء واهتمامهم " فلا ينكر أن أي أديب يستوحي مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيش فيه"[٥]. ولعل مونيكا Monika من أبرز شخصيات هذه الرواية.

شخصية مونيكا Monika:

تعتبر شخصية مونيكا Monika الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي فتاة من أسرة متواضعة، بذلت أسرتها قصارى جهدها في تربيتها وتعليمها تعليماً جيداً في الخارج حتى تعود إلى وطنها، لتمارس الدور المنوط بها كإنسانة مثقفة وواعية ترسي دعائم التطور والتحديث لدى بني جنسها ووطنها. وقد شرعت المؤلفة في تجسيد هذه الشخصية وصورتها على أساس أن تنمو بنمو الحدث نفسه، وتتراكم معلوماتنا عنها شيئاً فشيئاً، لنشعر في نهاية المطاف أن الكاتب يقدم لنا مع كل فصل شيئاً جديداً[٦].

مونيكا Monika والعودة من الخارج

بدأت المؤلفة في تصوير عودة الفتاة من الخارج لترسي بذلك انطباعاً أولياً في نفس القارئ فقالت:

" Monika aliteremka kwa mikogo, alikuwa amevaa shati na suruali na viatu vya visingo virefu ambavyo aonekane mrefu kuliko umbo lake hasa nyewele zake

zilikuwa zimekatwa na kitimulia kwa ule mtindo wanaoupenda vijana siku hizi"(7)

المعنى: " هبطت مونيكا Monika من الطائرة بخيلاء، ترتدي قميـصاً وسروالاً وحذاء ذا كعب عال، جعلها تبدو أطول من حجمها الطبيعي، شعرها قصير غير ممشط على الطريقة التي يفضلها شباب اليوم"

تلك الصورة الأولية التي رسمتها المؤلفة لشخصيتها الرئيسية حـــال وصولها تتيح للقارئ أن يلمح عدداً من الإشارات، فالملابس أوروبية غيـــر تقليدية، قص الشعر على الطريقة ذاتها، الحذاء الذي ترتديه يعطيهـــا طـــولاً وحجماً غير الحجم والطول الطبيعي، جميعها إشارات بـــدأت بهـــا المؤلفـــة للتعبير عن أن تغييرات قد طرأت على الشخصية، وهذه التغييرات وإن كانت ظاهرية، فإنها قد تكون مقنعة لما تريد المؤلفة أن تقدمه فيما يلي ذلك مـــن تفاصيل. فبعد هذه التغييرات الشكلية بدأت في إبراز التغيير فـــي ســـلوكيات مونيكا Monika، وها هم الذين جاءوا للترحيـــب بهـــا، متكبـــدين مـــشقة الذهاب لاستقبالها في المطار والترحيب بها، كان ردها على ذلك:

" Monika hakuonyesha furaha wala uchangamfu hata kidogo, na hata Salama alishangaa alipoona kuwa baada ya kuamkiana na wazee wake na ndugu zake waliokuwa wakirukaruka kwa furaha, hakushughulika na yoyote mwingine ila aliwapa mgongo na kuuliza ikiwa kuna gari na kama wanaweza kuondoka"(8)

المعنى: " لم تبد على مونيكا Monika سعادة أو سرور على الإطلاق، إلى درجة أن سلاما Salama (صديقتها) رأتها بعد أن سلمت على والـــديها وإخوتها الذين كانوا يرقصون فرحاً لاتعبـــأ بأحـــد علـــى الإطـــلاق، وأدارت ظهرها لمستقبليها، وسألت عن السيارة، وإن كانوا بإمكانهم الرحيل"

هذه صورة مونيكا Monika بعد عودتها مـــن الخـــارج، ولقائهـــا بالأهل والأصدقاء، والحال كذلك حين وصلت إلـــى البيـــت، إذ لـــم تختلـــف

تصرفاتها عما حدث في المطار، الأمر الذي جعل أحد النقاد يعلق على ذلك قائلاً:

" Anaporejea kutoka ulaya, aliwadharau wanakijiji huko nyumbani pia Monika aliwapita waliokuwa hapo kama upepo na kuingia chumbani mwake"(9)

المعنى: حين عادت من أوروبا احتقرت أهل قريتها، ومرت مونيكا Monika على الموجودين في البيت بسرعة خاطفة متجهة إلى غرفتها"

هكذا استكملت المؤلفة الصورتين، أحدهما التي تبين انفصالها عن المجتمع وتقاليده من خلال الحديث عن ملابسها وزينتها، أما الثانية فتلك التي تحدثت فيها عن تصرفاتها إجمالاً بمجرد هبوطها من الطائرة. ثم انتقلت المؤلفة بعد ذلك إلى تفصيل التغييرات التي طرأت على الشخصية الرئيسية، حيث افترض البعض أن ما صور عنها من عدم اكتراث لمستقبليها في المطار ربما يكون ناتجًا عن إرهاق، أو أنه نتاج طبيعي لوعثاء السفر. أما المؤلفة فقد أفردت جزءاً آخر يبين أن ما حدث لم يكن من فراغ، بل كان جزءًا مهمًا من فكرها وعقلها، إذ كلما أثير أمامها أمر من الأمور التي تخص العلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد في القرية يجئ رد مونيكا Monika:

" Kule ulaya watu hawatenda mambo kama haya, kwa hivyo ilikuwa daima ni kulinganisha maisha ya ulaya ya pale kwao"(10)

المعنى: "هناك في الغرب لا يفضل الناس ذلك، لقد كانت هناك مقارنة بين الحياة في الغرب وبين بيئتهم"

مونيكا والأب:

تعتبر العلاقة بين الأب وأولاده من المضامين المهمة التي تناولتها الرواية، إذ نرى المؤلف يظهر صورة العلاقة بين الأب وأولاده من خلال

تصويره للعلاقة بين مونيكا Monika ووالدها، محاولاً بذلك أن يبين الأثـر الذي أحدثه التغريب على هذه العلاقة، ورد فعل الأب على تـصرفات ابنتـه التي ظل يراقب تصرفاتها منذ عودتها.

وقد بلغ غضب الأب ذروته باصطدامه مع ابنته عندما علم بعلاقتهـا مع رشيد Rashid خطيب ابنة جارتهم سلاما Salama، فانبرى في إسداء النصح لها، لكنها لم تعره أي اهتمام، بل على العكس من ذلك تمـادت فـي الإساءة إلى سلاما Salama عندما وصفتها بأنها:

"Mjinga, hakusoma, si mrembo, si mtamaduni, na kadhalika"(11)

المعنى: جاهلة، أمية، قبيحة، متخلفة وغير ذلك.

هكذا وصفت مونيكا Monika جارتها وصديقتها القديمة لمجـرد أن عاتبها الأب على علاقاتها بخطيب سلاما Salama، وعند هذه النقطة وجـد الأب أنه لا مفر من مواجهة ابنته بأخطائها، ومحاولة تصويب سلوكها الذي رآه يحتاج إلى وقفة، فقال لابنته معقباً على وصـفها لـصديقتها وجارتهـا Salama :

"Unamwona mjinga na si mtamaduni kama wewe ila nina fikiri bado hujafahamu nini maana ya ujinga juu ya masomo yako na kizungu chako wewe ndiye mjinga mbele ya watu wote. Salama amesoma kiasi ya kuweza kufanya kazi akawa saidia wazee wake na kuwapatia faida ndugu zake. Ana utamaduni wa kutosha kujua kuwawekea adabu na heshima na staha wakubwa zake"(12)

المعنى: ترينها جاهلة وغير مثقفة مثلك؟ أعتقد أنك لا تعـرفين معنـى الجهل، فرغم دراستك وأوروبيتك فأنت جاهلة أمام جميع الناس. لقد درست

سلاما Salama بما يمكنها من مساعدة والديها وإفادة أشقائها، لديها ثقافة كافية لتعرف كيف تحترم وتوقر وتستحي ممن هم أكبر منها.

هذا التعليق من جانب الأب يبين بوضوح عدم رضاه عن سلوكيات ابنته وتعليمها وثقافتها التي لم تفد منها شيئًا، بل كان في رأيه وبالاً عليها وعلى أسرتها وعلى جميع من حولها، فرغم أن مونيكا Monika تلقت تعليماً في الغرب، وظلت هناك لأعوام عديدة، إلا أن الأب في تعليقه هذا يشير إلى أن نظام التعليم المحلي أكثر فائدة وأكثر ملائمة لقيم وعادات وتقاليد المجتمع. وهذا واضح وصريح من خلال الصفات الإيجابية التي وصف بها الأب سلاما Salama، ومدى رضاه عن سلوكيات الجارة سلاما Salama التي لم يكن بينها وبين غيرها من الجيران أي خلاف يذكر في مقابل ابنته وسلوكياتها المرفوضة.

لم يتوقف الأب عن توجيه اللوم لابنته، بل ازداد حدة عندما وصف تصرفاتها قائلاً:

" **Huna hata hisani, wala shukurani, huna lako ila kuleta ugomvi, na kisirani tu katika nyumba. Baada ya leo nikisikia umefungua mdomo wako kumtolea mtu ujeuri, nitakuvunja uso wako.**"(13)

المعنى: أنت لا تشكرين ولا تمتنين ولا شئ لديك إلا المشاكل وعدم الاستقرار الذي أتيت به إلى البيت، إذا سمعت أنك فتحت فمك بعد اليوم لتؤذي أحداً فسأحطم وجهك.

لقد أضاف الأب في هذا التعليق بعض مظاهر الأذى الممقوتة لسلوكيات ابنته التي عادت بها من الخارج، كما تضمن هذا التعليق تهديدًا واضحًا من قبل الأب تجاه ابنته بعدم التمادي في سلوكياتها، وإلا فإن ردود أفعاله لن تقف عند حدود الكلام، بل ستتخذ منحى أخر يصل إلى حد الضرب.

هكذا وصلت حدود الحوار بين الأب وابنته التي لم تهدأ لتستمع إلى تعليق الأب، أو تستجيب له، بل أنها ردت بشكل عنيف على الأب حين قالت:

" **Mnavyotaka ni kuwa nifanye kazi kwa akili yangu na nguvu zangu nikikulisheni nyinyi na watoto weno, nikikuachilieni hata mniendeshee maisha yangu, hizo ni fikira za kipuuzi na za kizamani**"(14)

المعنى: تريدونني أن أعمل بعقلي وجهدي لأطعمكم وأطفالكم، أترك لكم شئون حياتي، إنها فكرة غبية وقديمة.

هذا الحوار والرد من جانب الابنة يبين تعنتاً ورفضاً من جانبها لكـــل ما يقوله الأب، كما يظهر عدم احترامهـــا لـــلأب والأم والأشـــقاء، وعـــدم استعدادها لتقديم أي عون ولو القليل لأبيها في كفاحه من أجل تسيير شئون بيته.

واستكملت ردها على الأب:

" **Na mimi nitaondoka nikuachieni hiyo nyumba yenu. Madhali nina pesa, sitakosa pa kukaa kwanza nyumba gani nayo, mtu hata anaona haya kuleta wenzake humu ndani**"(15)

المعنى: سأرحل وأترك لكم هذا المنزل، لا يزال لدي مـــال، لـــن أعـــدم الوسيلة للحصول على مكان للاستقرار.. أي بيت هذا؟ إن الإنسان ليخجـــل أن يأتي بأصدقائه إليه.

لقد واجهتة الابنة وصارحته بأنها أصبحت لا تحتاج إليه، ولا يشرفها أن تنتمي لهذه الأسرة، بل إنها أصبحت تشعر بالخجل من البيت الذي تربـــت فيه، وعاشت فيه فترة طويلة من الزمن. لقد سافرت إلى أوروبا وعادت ولم تعد ترى أن هذا البيت يناسبها ولا يشرفها أن تنتمي إليه، ولديها ما يمكنها من الاستقلال بحياتها، والاعتماد على نفسها. أما الأب فلـــم يتمالـــك نفـــسه ودون تفكير كان رد فعله:

" Hakuweza kuzizuia hamaki zake, alinyanyuka na kumpiga Monika kofi moja lililomrusha mpaka mwisho wa chumba"(16)

المعنى: لم يتمالك الأب غضبه فانحنى ليصفع مونيكا Monika بيده صفعة قذفت بها لنهاية الحجرة.

هذه الصفعة من جانب الأب تجسد للقارئ سوء حاله، وشدة غضبه وكذلك تبرمه وضيقه جراء تصرفات ابنته. فالأب الذي كان يعاتب ابنته على أكثر من تصرف، ردت عليه بردود تنم عن عدم احترام أو توقير له، الأمر الذي صدم الأب صدمة كبيرة أوصلته إلى ضرب ابنته بهذا العنف. في الوقت نفسه لم يكتف الأب بضرب ابنته، بل ظل يسأل نفسه عما وصل إليه مستوى العلاقة بينه وبينها، كما أخذ يسأل عن هذه الحالة التي وصلت إليها مونيكا Monika:

" Wengine huzaa watoto wakafa, wakazika wakashukuru Mungu, wakijaribu kuvumulia msiba huo kuwa ni rehema ya Mungu, ... Lakini haya .... Sijui mtu huvumulia vipi! Alishusha pumzi, tena akaondoka kujiburura kwenda chumbani kwake"(17)

المعنى: آخرون ينجبون أطفالاً فيموتون ويدفنونهم، فيشكرون الله، ويحاولون الصبر، وهذه رحمة من الله .....ولكن هذا ..... كيف للإنسان أن يصبر. وتنهد وقام إلى حجرته يجر قدميه.

هذا تجسيد لحالة اليأس والإحباط التي تملكت الأب، فقارن بين حال ابنته وحال من يفقد أولاده. وهذا دليل كاف على حالة الأب الذي اعتبر أن من يفقد ابنه أو ابنته أخف وطأة من حالته مع ابنته، فمن مات عنه ابنه أو ابنته يعتبر هذا قدر من الله، وينتهي به الأمر إلى الصبر على قضاء الله، أما حالة ابنته فما حدث منها كان بداية غير معلومة نهايتها، كما لا يمكن الصبر

عليها. هذه الصدمة الكبيرة التي أصابت الأب في ابنته لدرجة مقارنة حالتها بحال من يموت ابنه، يمكن تفهمها من المؤلفة حين قالت:

" Wote waliofahamu kuwa Monika alikuwa ndiye kipenzi chake, na fahari na furaha yake haikuwa na mifano wakati Monika alipofuzu vizuri kuliko wenzake, na kuweza kuendelea mbele hata kupata fursa ile ya kwenda huko nchi za nje kusoma"(18)

المعنى: الجميع الذين عرفوا أن مونيكا Monika كانـت قـرة عينـه وفخره وفرحته التي لا مثيل لها، حين تفوقت مونيكا على زملائها واستمرت في تفوقها حتى نالت فرصة السفر لاستكمال دراستها في الخارج.

هذه المقارنة التي عقدتها المؤلفة بين أماني الأب وأمله في ابنتـه، وما كان يطمح إليه، وما وصل إليه حاله مع ابنته، يبين مدى الصدمة التـي لحقت به ما بين الأمل الذي عاش عليه يحلم به ويتمناه وما وصل إليه حال ابنته التي لم تصبح فخراً له، بل أصبحت تمثل مأساة، مما جعل الأب يـشعر بفقدان الأمل الذي عاش يحلم به.

مونيكا والأم

لم تكن الصدمة للأب فقط، بل نال الأم هي الأخرى نصيبًا وافـرًا مـن تصرفات ابنتها التي كانت تشعر بالفخر الشديد لنجاح ابنتها وتعليمهـا فـي الخارج، وعودتها بعد حصولها على شهادتها.

" Majirani wote, Tokea asubuhi, walikuwa katika pirikapirika, wakaingia na kutoka kwa Bi Tatu wakipika na kusafisha na kupanga na kutengeneza kuonyesha furaha yao kwa kurejea kwa mtoto wao"(19)

المعنى: منذ الصباح وجميع الجيران منهمكون، يـدخلون ويخرجـون للسيدة تاتو Tatu، يطهون وينظفون ويرتبون ويعدون مظهرين سـعادتهم برجوع ابنتهم.

الأم السعيدة الفرحة بعودة ابنتها والتي تشغل الجميع من حولها، وتجعلهم يشاركونها فرحتها بعودة ابنتها لها.

لم تتوقف سعادة الأم على مجرد عودة ابنتها، بل عبرت عن هذه السعادة حين التحقت ابنتها بالعمل:

" Wote mitaani walifurahi kusikia hayo kwani Bi Tatu kama desturi yake alitangaza habari hizo akitaka wote mitaani washiriki katika furaha yake"(20)

المعنى: جميع من في الحي فرحوا بسماع هذا، لأن السيدة تاتو Tatu تعلن هذه الأخبار كعادتها، رغبة منها في مشاركة الجميع لفرحتها.

لقد بينت المؤلفة هنا مدى الفخر والزهو الذي تشعر به الأم بالتحاق ابنتها بالعمل، ومشاركة الجميع لها هذه الفرحة والسعادة، على أمل أن يعود عمل الابنة بفائدة ولو قليلة على الأسرة، تعوض بها المعاناة التي لاقتها أيام تعليم مونيكا Monika في الخارج، حيث كانت نفقات المنزل موجهة لهدف واحد هو تعليم مونيكا Monika. إلا أن افتراض الأم وأملها لم يكن واقعياً أو صحيحاً لسببين:

الأول: الناحية المادية:

لقد عاشت مونيكا Monika لنفسها ومتعتها وحياتها الخاصة، ولم تشغل بالها بالأسرة ومتطلباتها، وعانت الأم من تصرفات ابنتها. وقد تجلى هذا المشهد بذهاب الأم إلى سلاما Salama ابنة جارتها، تستجدي منها بعض المال الذي تحتاج إليه لتجامل ابنة أخيها في عرسها، في نفس الوقت الذي تعلم فيه الأم أن ابنتها ميسورة الحال، وبمقدورها أن تغنيها عن السؤال والاقتراض من ابنة الجيران. تقول الأم مخاطبة سلاما Salama:

" Mwanangu, tuna harusi huko shamba, ...na mimi sina senti hii"(21)

المعنى: يا ابنتى لدينا عرس في القرية .....وليس لدي سنت واحد.

فالأم التي تعمل ابنتها في إحدى الوظائف لـــم تـــستطع أن تقتـــرض منها، بل ذهبت إلى صديقتها لتسد حاجتها. وربما يدل هـــذا علـــى أن ثمـــة انفصال كامل، وانقطاع في العلاقة مع الأم كما حدث مع الأب، وأن الأم لـــم تكن تعتمد في لحظة على وظيفة ابنتها، وظلت تعتمد على نفسها، إذ وصفت من جانب المؤلفة بأنها:

" Bi Tatu ni mtu aliyependa kujitegemea mwenyewe na asiyependa hata kidogo mambo ya kukopa ila anpolazimika tu. hufanya biashara ndogo za kuuza maandazi au mikate"(2)

المعنى: السيدة تاتو Tatu تحب أن تعتمد علـــى نفـــسها، ولا تفـــضل الاقتراض على الإطلاق إلا عند الضرورة فقط. تمارس تجارة التجزئة لبيع الفطائر أو الخبز.

من الواضح هنا أن الأم التي تسهر ليل نهار في تدبير احتياجات بيتها، لم تفكر قط في الاعتماد على ابنتها، بل ظلت تمارس عملها في إعداد الخبز وبيعه. وهذه إشارة إلى أن العلاقة بين الطرفين تبدو شبه مقطوعة في هذا الإطار، ولم لا وقد فقدت الابنة الإحساس بالمسئولية تجاه أســـرتها دون أن تفكر في تقديم أي نوع من العون لهذه الأم، أو مجرد التفكير فـــي تخفيـــف العبء عنها.

تلك القضية قد أثارت فضول الجيران الذين رأوا أن الابنة تعمل فـــي وظيفة جيدة تدر عليها دخلاً لا بأس به، إذن فما الذي يجعل الأم تقترض من صديقة ابنتها سلاما Salama التي تتقاضى أقل بكثير مما تتقاضـــاه الابنـــة مونيكا Monika. فمرتب الابنة مونيكا Monika أكبر من مرتب ســـلاما Salama ثلاث مرات(٢٢)، ورغم ذلك تلجأ الأم لتقترض مـــن Salama ولا تلجأ لابنتها.

الثاني: الناحية النفسية:

إذا كانت الجوانب المادية قد أدت دوراً في الأحداث، فإن الجوانب النفسية الخاصة بعلاقة مونيكا Monika بالأم أدت هي الأخرى دوراً في تلك الأحداث. لقد أثرت سلوكيات الابنة مونيكا Monika وبشكل مباشر على الأم، إذ حين علمت الأم بهروب ابنتها، وارتباطها برشيد Rashid خطيب سلاما Salama جارتهم، شعرت بالأسى والحزن حيث حاصرتها المشاكل من كل صوب وحدب. لقد زاد من صعوبة هذه التصرفات عليها ومحاصرتها لها، أنها لم تعد تقتصر على الأسرة من أب وأم وأخوات فحسب، بل طالت كذلك الجيران الذين تربطهم بالأم روابط جيدة وممتدة عبر السنين. عند هذا الحد نهضت الأم، وذهبت على الفور إلى ابنة جارتها مباشرة، لتجسد المؤلفة هذا الموقف الصعب على نفسية الأم:

" Bi Tatu alisogea hatua mbili tatu kama anavyotaka, Lakini akasita pale mlangoni na kuukamata mlango kama kwamba utamzuia asianguka. Akageuka kumwambia Salama, Mwanangu, najua Monika amefanya makosa kwako, lakini usisahau kuwa ni nduguyo, mmecheza pamoja na mmekua pamoja, sikupenda aliyoyafanya lakini pia ni fanye nini akivuta upande wa kanga kufuta machozi yaliyomtiririka usoni"[23]

المعنى: وما أن اقتربت السيدة تاتو Tatu بخطوتين أو ثلاثة من وجهتها إلا وتوقفت عند الباب وأمسكت به حتى لا تسقط على الأرض، والتفتت إلى سلاما Salama وقالت: اعلمي يا بنيتي أن مونيكا Monika قد أخطأت في حقك، ولكن لا تنسي أنها أختك، لعبتما معاً، وكبرتما معاً، إنني لست راضية عما فعلت، ولكن ماذا أفعل؟ .....وأمسكت جانباً من ردائها ومسحت دموعها التي انهمرت على وجهها.

إنه دليل على ما أصاب الأم من حزن وأسى جراء تصرفات ابنتهـــا، فمشهد الأم التي لا تقوى قدماها على السير يجسد ما تحمله بين ضـــلوعها من هم وحزن، مما يظهر أن هذه الابنة كانت بحق كما وصفها البعض:

" Alifanya cho chote alichotaka bila ya kuheshimu ye yote"(24)

المعنى: تفعل أي شئ دون أدنى احترام لأي إنسان.

هذه الأم جسدتها المؤلفة وهي تفقد الأمل في تعديل ســـلوك ابنتهـــا، مبرزة إحساس هذه الأم حين قالت:

" Bi Tatu yeye alijihisi kama tokea siku ile hataweza kulala tena usingizi wanaolala watu na kupumzika ila baada ya atakapolazwa chini ya ardhi"(25)

المعنى: منذ ذلك اليوم شعرت Bi Tatu السيدة تاتو أنها لن تـــستطيع أن تنام كما ينام الناس، وترتاح إلا بعد أن توارى تحت الثرى.

هكذا وكما نرى، شعرت الأم أن لا فائدة ترجى مـــن تعـــديل ســـلوك الابنة، وأن راحتها لن تتحقق إلا بموتها، إنه قمة الشعور باليأس والإحبـــاط الذي سببته مونيكا Monika لهذه الأم اليائسة من تحسن حال ابنتها كمـــا سببته لوالدها من قبل.

مونيكا وإخوتها

لم تبد المؤلفة أي إيجابية تجاه مونيكـــا Monika، فكـــل تـــصرفاتها سلبية، هذه السلبية التي لم تكن واضحة مع الأب والأم فقط، بل نراها تمتد لتشمل إخوتها الصغار. وها هي مونيكا Monika التي تعتبـــر الأم البديلـــة حال غياب الأم لأي سبب، تخرج وتلهو وتعود في ساعات متأخرة من الليل، دون أن تلقي بالاً بأشقائها الذين وصفتهم المؤلفة:

" Wakati huo ndugu zake walikuwa wamebanwa na njaa, kila mmoja alitafuna alichopata, wengine walikwenda kwa majirani kula huko. Hapana

aliyestaajabu maana wote walijua kuwa Bi Tatu hayupo siku ile"([26])

المعنى: في هذا الوقت كان أشقاؤها يتضورون جوعاً، وكل منهم يلعق ما يجده، يذهب بعضهم لتناول الطعام عند الجيران، ولم يكن هناك من يدهش، فالجميع يعلم أن السيدة تاتو **Tatu** غير موجودة في البيت في ذلك اليوم.

إنه فقدان الإحساس بالمسئولية تجاه أشقائها الصغار ولو لمجرد إعطائهم الطعام أو تدبيره لهم، فضلاً عن متابعتهم، وعدم تركهم وحدهم في المنزل ليلاً، بينما هي تلهو مع أصدقائها ولا تدري ما حل بهؤلاء الصغار. أما الأم رغم تركها للأطفال في عهدة شقيقتهم الكبرى لرعايتهم، فقد كانت كما وصفها البعض: من قبيل الحلم الذي يعتبر غير قابل للتحقيق([٢٧]).

يضاف إلى ذلك أن مونيكا **Monika** قد رفضت بشكل قاطع المساهمة بأي شئ في الإنفاق على أشقائها الصغار، وهو ما أوضحناه في علاقتها بكل من والدها ووالدتها.

هكذا يتضح لنا مدى تدهور العلاقة التي تربط مونيكا **Monika** بكل من الأب والأم والأشقاء نتيجة تغير سلوكها الذي بدا مرفوضاً من الجميع حتى الجيران الذين شعروا بغرابة هذه السلوكيات، وعبروا عن رفضهم لها.

مونيكا والجيران

لا شك أن سلوكيات مونيكا **Monika** الغريبة والمرفوضة مع الأب والأم كانت هي الأخرى مرفوضة من الجيران الذين أحسوا بها منذ أول يوم عادت فيه مونيكا **Monika** من الخارج، ولكن هذا الرفض قد بلغ مداه فيما حدث بين مونيكا **Monika** وجارتها السيدة كيتي **Keti**. والمؤلفة حينما تأتي بهذه الشخصية إنما تريد أن تبين أن تغير السلوكيات الذي رفض من جانب الأسرة، مرفوض أيضاً من جانب الجيران لا سيما الذين لم يتلقوا قسطًا من التعليم. فالسيدة كيتي امرأة عاملة تعيش على بيع العصيدة للجيران في المنطقة، وحين يشعر أشقاء مونيكا **Monika** بالجوع يلجأون

إليها طلباً للطعام في غياب والدتهم، وفي ظـل تجاهـل شـقيقتهم مونيكـا Monika لرغبتهم في الطعام، ورغم أن السيدة كيتي Keti لم ترفض طلب الأولاد شفقة بحالهم، إلا أن المؤلفة قد صورت انفعـال مونيكـا Monika على النحو التالي، عندما جاء أشقاؤها يحملون العصيدة:

" Alinyanyua uso aliukunja na kusema: Nani kakwambia nataka uchafu huo, nenda kaumwaga huko"(28)

المعنى: عبست بوجهها قائلة: من قال لكم إنني أريـد هـذه القـذارة، اذهبوا و ألقوا بها هناك.

تشير المؤلفة في هذا المقطع إلى أن مونيكا Monika ترفض رفضًا قاطعًا كل ما يتعلق ببيئتها حتى الطعام الشعبي الذي يألفه الجميع، ويعتبرونه غذاءً يومياً، أصبحت تنظر إليه الابنة بازدراء ومقت رغم أنه كان طعامهـا لزمن. لقد أرادت المؤلفة بهذه الصورة أن تجسد لنا صورة للنزاع التقليدي بين شابة متغربة ترفض كل ما يتصل بالبيئة، وامرأة غير متعلمة وعاملـة في نفس الوقت تعبر عن البيئة الواقعية بشكل واضـح، كمـا أنهـا تجـسد الصراع بين القيم التقليدية التي تمثلها كيتي Bi Keti، والقيم الغربية التـي تمثلها مونيكا Monika.

هذا الرفض الذي اتضح في رد السيدة كيتـي Keti علـى تـصرف مونيكا Monika مع أشقائها حين قالت لها:

" Umeshasahau kama uji ndio ulikulea wewe mpaka ukawa hivyo .....leo umekuwa mzungu"(29)

المعنى: نسيت العصيدة التـي تربيـت عليهـا منـذ صـغرك وحتـى الآن....هل أصبحت غربية الآن.

يظهر الرد كم كانت مونيكا Monika قبل سفرها للخارج تتناول هذا الطعام، الطعام الذي تربت عليه، لكن الأوضاع تغيرت بعد عودتها، ومن ثـم ردت على السيدة كيتي Keti وقالت لها:

" Hata kama nilikunywa hapo zamani nilikuwa sijui mengi ninayoyajua sasa sinywi uji wako machafu"(30)

المعنى: حتى وإن شربت في الماضي فلم أكن أعلم، ومـا أعرفـه الآن أنني لن أشرب عصيدتك القذرة.

أصرت مونيكا Monika إذن على موقفها الرافض لتناول أشـقائها لهذا الطعام الشعبي والشهير لديهم والتي تربت عليه نفسها، واعتبـرت أن ذلك كان نوعاً من الجهل في الماضي، أما الآن فهي تعترف أمـام الجميـع بخطأ تناول هذا الطعام الذي وصـفته بالقـذارة، دون أن تراعـى مونيكـا Monika بأن ما تقوله يجرح مشاعر الحاضرين الذين يعيشون على هـذا النوع من الطعام، بل ويعتبرونه الوجبة الرئيسية لهم ولأولادهم.

واستمر الجدل هذا قائمًا، ليكشف لنا عن عمق الهوة بين الطـرفين، وكذلك عن عدم تقبل العامة من الناس لسلوكيات مونيكـا Monika، وقـد جسدت المؤلفة ذلك من خلال رد كيتي Keti على مونيكا Monika:

" Alicheka kicheko cha bezo na kusema: Ati uji wangu mchafu! Na yeye Bi mzungu huko ulaya ndiko alikokwenda ambiwa akinywa uji wa Keti atapata maradhi, maradhi hayo utayapata leo tu"(31)

المعنى: ضحكت كيتى ضحكة ساخرة وقالت: عجباً، عـصيدتي قـذرة؟ حين ذهبت إلى هناك من ترى في نفسها أوروبية أخبروها أن مـن يـشرب عصيدة Keti سيمرض....لم اليوم دون غيره يصيبك هذا المرض؟

من يتأمل هذا التعليق من جانب السيدة كيتي Keti يلاحظ نقداً لاذعاً لسلوكيات مونيكـا Monika وتـصرفاتها المتـأثرة بـالغرب، وعـاداتهم وتقاليدهم التي اكتسبتها هناك التي أرادت أن تطبقها حين عادت إلى بلادها، لكنها أثارت حفيظة الجميع. ولم يفت المؤلفة ردود فعل من حضروا هـذه الواقعة بين Keti ومونيكا Monika فقالت:

" wengi waliona kuwa Monika amestahili kuambiwa yote hayo"(32)

المعنى: رأى كثيرون أن مونيكا Monika تستحق أكثـر ممـا نالتـه (على لسان كيتي)

تبين المؤلفة هنا أن جيران مونيكا Monika قد شـعروا بالـسعادة والراحة من النقد اللاذع الذي كالته السيدة كيتي Keti لمونيكـا Monika، وأن كثيرًا من النقد الذي وجه لها قد لاقى صداً إيجابيـاً فـي نفـوس مـن حضروا تلك الواقعة، فهم غير راضين عن تصرفات مونيكا Monika تجاه الأهل والجيران.

هذا هو الصدام بين الجيل القديم المتمسك بهويته، والجيـل الجديـد الذي نسي ماضيه وانسلخ عنه، وهو من الأمور المتوقعة في كل المجتمعات البشرية. فالسيدة كيتي Keti التي تمثل الجيل القديم لم تتحمل إهانات شابة في عمر ابنتها، لم تحترمها أو تقدر سنها أو مكانتها، ومن ثم جاء رد فعـل السيدة كيتي Keti على النحو التالي:

" Akanyanyua mkono na kumkamata Monika akampiga makofi mawili makali ya uso, kila kofi moja lilimpeleka Monika upande mwengine"(33)

المعنى: رفعت يدها وأمسكت مونيكـا Monika وصـفعتها صـفعتين شديدتين على الوجه أطاحت كل صفعة بمونيكا في اتجاه آخر.

لم يتوقف الصدام عند هذا الحد فقط، بل امتد لتقدم المؤلفة رأي هـذا الجيل في تصرفات الجيل الجديد من أمثال مونيكا Monika مجسدة ذلك في قولها:

" ...lakini ingekuwa unataka kuwa mzungu ungalibaki huko kwenu uzunguni kwa jamaa zako. Hapa hapaana wazungu wala sisi wazungu"(34)

المعنى: طالما أنك تريدين أن تكوني أوروبية فلم عدت إلى هنا، هنا لا مجال للمتغربين.

كما تظهر المؤلفة بعد ذلك أن هذا الرفض الذي عبرت عنه السيدة كيتي Keti لا يمثل رأيها وحدها، وإنما يعبر عن رأي قطاع من المحيطين بها، مبررة سبب هذا الرفض:

" Wote waliambiwa Bi Keti kuwa hayakuwa makosa ya Bi Tatu ila ni ya Monika pekee na yote yametokana na huo uzungu aliokuja nao"(35)

المعنى: أخبر الجميع السيدة كيتي Keti أن ما صدر من مونيكا Monika ليس خطأ في تربيتها من جانب الأم السيدة تاتو Bi Tatu، لكنه مسئولية مونيكا Monika وحدها، وأن كل ما حدث بسبب التغريب الذي جاءت به.

لقد قصد بإخلاء مسئولية الأم عما يصدر من سلوكيات الابنة، حصر المسئولية بأكملها على مونيكا Monika، حتى لا يتصور البعض أن هناك خطأ ما في تربيتها من جانب الأم، فالأم كما اتضح أصابها ما أصابها من ابنتها وسوء تصرفاتها هذا ما دفع البعض إلى التساؤل:

" Elimu za kizungu ! Si ndiyo hiyo basi"(36)

المعنى: ألم يك ذلك فقط هو التعليم الأوروبي.

إنه نقد واضح للتعليم الأوربي، إذ إن الناس لم يروا في ما يصدر عن من تعلموا في الخارج أمثال مونيكا Monika أي شئ إيجابي، ومن ثم دفعهم هذا الوضع إلى التساؤل: هل من يتعلم في الغرب يأتي بهذه الصورة التي رأوا عليها مونيكا Monika ؟ ألا يحمل هذا النوع من التعليم أي نوع من الإيجابية؟

هنا تبين المؤلفة الرفض التقليدي لهذا النوع من التعليم والثقافة لما لهما من جوانب سلبية من جانب الجيل القديم المتمسك بعاداته وتقاليده. إن في كل جيل هناك من يقبل الجديد وآخر يرفضه، فمن يقبل ينظر لما فيه من

صالح له ولغيره، ومن يرفضه إنما يرفض السلبيات التي قد تأتي مع ذلك الجديد الوافد التي لا تتفق مع العادات والتقاليد الأصلية في المجتمع.

لم يكن الجيران كلهم على علاقة حسنة بمونيكا Monika، فإذا كانت المؤلفة قد أظهرت أن تدهور العلاقة شمل الجميع، وأنها سجلت التدهور في العلاقة بين مونيكا Monika وكيتي Keti والذي يمثل الجيل الأكبر المتقدم في السن، فإنها من جانب آخر قد أبرزت أن التدهور قد شمل الجيل الأصغر من الجيران والذي مثلته سلاما Salama.

مونيكا Monika وسلاما Salama.

سلاما Salama كما سبق وقلنا هي الجارة لمونيكا Monika التي تربت وعاشت معها فترة طويلة من أيام الطفولة، وكانت قبل سفرها صديقة مقربة منها، إلا أن أحوال الأخيرة قد تغيرت بعد عودتها. وقد عبرت المؤلفة بشكل إجمالي عن هذا التغيير عندما قالت:

" Alionekana akijitoa kabisa na kuwapuuza na kuwakunja uso wote waliokuwa wenzake"(37)

المعنى: بدت متغيرة تماماً، واحتقرت وابتعدت عن كل أصدقائها.

هكذا وبشكل إجمالي تغيرت أحوال مونيكا Monika حتى مع أقرب الناس لها، وحين ذهبت والدة مونيكا Monika للاقتراض من سلاما Salama اندهشت الابنة سلاما Salama، وحين حاولت التدخل لدى مونيكا Monika لتوعيتها، ومحاولة إرشادها إلى مساعدة والدها والالتفات إلى أشقائها لرعايتهم منعتها الأم قائلة:

" ...usiyaingie tu mambo hayo, mama yake alimwambia. Mama huyo aliona afadhali amwonye, kwani ilivyokuwa wamekuwa pamoja. Salama alimwona Monika kama ndugu yake, na hata yeye Monika vivo hivo kabla ya safari yake, Lakini sasa amerejea mtu

mwengine kabisa, aliyeweza hata kumkaripia baba yake"(38)

المعنى: لا تتدخلي في هذه الأمـــور ــ أخبرتهـــا أمهـــا ــ رأت الأم أن تحذرها لأنهما تربتا معاً، وسلاما Salama شـــعرت أن مونيكـــا Monika تعتبر كأخت لها، وحتى مونيكا Monika كانت كذلك بالفعل قبـــل ســـفرها، ولكنها عادت الآن شخصية غربية تماماً تستطيع حتى أن توبخ والدها.

هذه صورة مونيكا Monika لدى الجيران، في الوقت الذي تفكر فيه سلاما Salama في مساعدة والدة مونيكا Monika ماديـــاً، وتفكـــر فـــي التدخل ومحاولة إقناعها بتغيير ســـلوكها، والالتفـــات لإخوتهـــا ومـــساعدة والديها، تلقت تحذيراً واضحاً من أمها بالابتعاد عن ذلك، لأنها إن كانـــت لا تحترم والدها، وبمقدورها تأنيبه وتوبيخه، فكيف الحال إذا كان التحذير مـــن جانب صديقة قديمة لها. ماذا يمكن للإنسان أن يتصوره كرد فعل منها؟

وارتبطت مونيكا Monika بعلاقة مـــع رشـــيد Rashid، ورغـــم محاولات الأم والأب لمنعها، فإنها تمسكت بهذه العلاقة، وتسبب هـــذا فـــي حدوث نزاع حاد بين مونيكا Monika ووالـــدها، التـــي وصـــفت ســـلاما Salama بأوصاف قاسية كما ســـبق وأوضـــحنا دون مراعـــاة للجيـــرة أو الصداقة القديمة التي ربطت بينها وبين سلاما Salama ذات يوم. وكـــان من الطبيعي بعد ذلك أن تبدأ العلاقة بين رشيد Rashid وخطيبته وأســـرتها في الفتور.(٣٩)

هذه العلاقة التـــي كانـــت تـــربط بـــين ســـلاما Salama ومونيكـــا Monika بدأت هي الأخرى في الفتور وذلك من خلال ما أوضحته المؤلفة:

" Urafiki baina ya Monika na Salama ulikwisha malizika zamani, maana Salama alikwisha choshwa na tabia ya yule aliyemhesabu kuwa si urafiki tu bali ni ndugu"(40)

المعنى: الصداقة التي ربطت بين مونيكا Monika و سلاما Salama انتهت بالفعل منذ فترة طويلة، أي أن سلاما Salama قد كشفت حقيقة من كانت تشعر أنها ليست صديقة فقط بل أخت.

هكذا بينت المؤلفة أن مونيكا Monika قد فقدت صداقة شخص من أخلص الناس الذين تربت وعاشت معهم فترة طفولتها وصباها، لقد كانتا قبل سفرها أكثر من مجرد صداقة بين طفلتين. وهي تريد أن تبين أن مونيكا Monika لا تحافظ أو تراعي شيئًا إلا مصلحتها وتحقيق رغباتها كما سبق وقلنا.

مونيكا والحرية:

عاشت مونيكا Monika فترة طويلة في الخارج، تلقت خلالها تعليمها، لم يكن حولها رقيب أو حسيب، وحين عادت بدأت تشعر بقيود الأسرة التي تحاول تقويم سلوكها الذي أثار حفيظة الجميع، فأرادت كسر هذا القيد:

" anaamua kutoroka nyumbani kwao kwa kuwa anahisi kuwa maisha yake yanaingiliwa na kuwa hana uhuru wa kufanya apendavyo"(41)

المعنى: قررت الهروب من منزلها لأنها شعرت أن هناك تدخلاً في حياتها، ولا تملك الحرية لتفعل ما تريد.

ومما لا شك فيه أن تأثر مونيكا Monika بالتغريب قد أثر تأثيراً مباشراً في فهمها للحرية، الأمر الذي دعا إلى تفسير هذا التأثر بأنه:

" Msimamo alio nao Monika unatokana na mambo mawili, kwanza amekengeushwa na maisha ya uzunguni, pili anashindwa kubainisha tofauti iliyopo baina ya uhuru wa kibinafsi na wajibu wa mtoto kwa jamaa zake"(42)

المعنى: الموقف الذي ظهرت عليه مونيكا Monika نتج عن أمرين: الأول تأثرها بالتغريب وحياتها في الغرب، والثاني فشلها في تحديد الفارق بين الحرية الشخصية، وواجب الابن تجاه أسرته.

ولم يتوقف الأمر عند التأثر بالغرب، وفشلها في تحديد واجبها تجاه أسرتها، أو حتى فهمها لحريتها الشخصية التي فهمتها بشكل خاطئ. وذلك حين هربت من بيت أسرتها، وذهبت للإقامة مع رشيد Rashid، لم تقبل عتابه لها علي تأخرها في الخارج، وعودتها في ساعة متأخرة من الليل حين ردت عليه بشكل عنيف قائلة:

" Mimi si mwanao wala si mtoto mdogo ....Mimi huru nafsi yangu"(43)

المعنى: لست ابنتك، لست طفلة صغيرة أنا حرة.

هكذا لم تقبل النصح، ولا تريد مجرد الاستماع إلى صديقها، بل لا تطيق كلمة توجيه من باب الحرص عليها وعلى مصلحتها، تريد حرية مطلقة غير مقيدة بأي شئ. وهذا ما دفع بعض النقاد للتعليق على هذه النوعية من الحرية بأنها:

" Uhuru usio na uwajibikaji una madhara"(44)

المعنى: حرية بدون ضمان (حدّ) لها مضارها.

هذه الحرية المطلقة التي أشير إليها قد نتج عنها بالطبع مضار كبيرة لوحظت في علاقة مونيكا Monika السيئة بمن حولها.

وقد تناولت المؤلفة بشئ من التفصيل تصرفات مونيكا Monika التي تستشعر الحرية كما عاشتها في الغرب، إذ منذ هروبها من بيت الأسرة، وإقامتها مع رشيد اتخذت حياتها منحى جديداً، فالسهر اليومي في المدينة، سواء برفقة رشيد أو غيره، قد جعلها تتعرف على شخصيات عديدة، هذه الشخصيات التي ترتاد أماكن اللهو عادة ما تظهر على غير حقيقتها، حيث التقت بشخصية جمعة سليمان Juma Suliman الذي لفت نظر مونيكا Monika بحسن هندامه، والسيارة الفارهة التي يقودها،

وانخدعت مونيكا Monika بهذا الوضع، واعتقدت أنه من الأثرياء الـذين يمكن لها مرافقتهم، إلا أنها قد اكتشفت بعد ذلك أنه مجرد سائق في إحـدى الوزارات. وهذا دليل ساقته المؤلفة لبيان أنه يمكن خداع مونيكا Monika بمنتهى السهولة، فلم تحاول التأكد ولو للحظة من شخصية تحاول الارتبـاط بها.

ثم جاءت الصدمة الثانية التي أصابت مونيكـا Monika، فالحريـة غير المحدودة في الخروج والدخول، والفهم الخاطئ لها جعلها تتـردد دون أي خوف على الأماكن المشبوهة التي تعج بالرجال الذين يطمحون إلى لقاء أشباه مونيكا Monika لقضاء الوقت معهن، واللهو الذي أوقعها مع جمعة سليمان Juma Suliman من قبل، أوقعها كذلك مع شخـصية مـشهورة تسمى ماتاتا Matata، وهو شخصية مسئولة، إذ يعمل وزيراً للتعليم عرف عنه سوء السلوك وإثارة المشاكل. كما أن هذه الشخصية التي انخدعت بهـا مونيكا Monika لم يبال بمكانته ومركزه السياسي، واهتم باللهو وارتيـاد الأماكن المشبوهة.(٤٥)

وكانت مونيكا Monika إحدى الفتيات التي اعتبرت أن التعرف على مثل هذا الشخص يعتبر مثاراً للزهو والفخر:

" Aliona fahari kuonekana na Matata .....cheo chake .....gari lake....aliwajulisha wenzake.....Matata ni rafiki yake"(46)

المعنى: شعرت مونيكا Monika بالفخر للظهور مع ماتاتـا Matata .....مكانته وسيارته.....أبلغت أصدقاءها أن ماتاتا Matata صديق لها.

وكعادتها ظلت مونيكا Monika تصم آذانها عن كل ما تنصح بـه، وكل ما فيه مصلحتها، حتى رشيد Rashid حينما حـذرها مـن علاقتهـا بماتاتا Matata التي شعرت بالفخر جراء صداقته، والظهور معه، فرشـيد كان يعلم الكثير عن هذه الشخصية فهي:

" Ana mke.....ana marafiki wasichana wengine wengine"(47)

المعنى: لديه زوجة ومعشوقات أخريات كثيرات.

لم تفلح محاولات رشيد Rashid في أن تثني مونيكا Monika عن قطع علاقتها بماتاتا Matata الذي كان يحدثها دائماً عن الزواج، واقتنعت بوعوده لها(٤٨). فهي مقتنعة أن الزواج من وجهة نظرها لا يحتاج إلى تدخل من أحد، بل إنه يقتصر على التعارف بين الطرفين ودون تدخل ولو أسري، هذا ما اقتنعت به، واعتبرته وفق مقتضيات القرن العشرين وتطوراته.

توالت الصدمات على مونيكا Monika، حيث كانت تلك التي جعلتها تعيد الكثير من حساباتها حين علمت أن الشقة التي أعطاها لها ماتاتا Matata هي مجرد شقة بالإيجار، وأن هذا المسئول قد تركها دون أن يدفع لها الإيجار، وذهب للزواج من فتاة لا يزيد عمرها عن سته عشر عاماً(٤٩).

هذه الصدمة أفقدتها صوابها، وجعلتها تفكر فيما آلت إليه من حال بعد هروبها من بيت والديها، واللجوء إلى المدينة بحثاً عن حريتها المفقودة في قريتها الصغيرة جراء ضغوط القرية عليها (حيث الأسرة والجيران والجميع).

وإذا كان هذا هو مفهوم الحرية عند مونيكا Monika، فإن المؤلفة قد حسمت مفهوم الحرية عن طريق شخصية كريم Karim الذي عاش في الخارج إثنى عشر عاماً، بينما عاشت مونيكا Monika في الخارج خمسة أعوام. كما جسدت المؤلفة حواراً بين الشخصيتين حول مفهوم كل منهما للحرية والتغريب وآثارهما، وكذا الحضارة الغربية والإفريقية الأصيلة. ففي حين امتدحت مونيكا Monika الحضارة الغربية، وانتقدت بشكل لاذع ما أسمته تخلفاً لبيئتها:

" Watu wameendelea sana, wana ustaarabu mkubwa mkubwa sisi huko bado tuko nyuma sana"(50)

المعنى: تقدم الناس (في الغرب) للغاية، لديهم تطور كبيـــر، ونحـــن لا نزال في أماكننا متخلفين إلى أبعد حد.

هذه هي نظرتها للغرب ولما يحدث في بيئتها، تلـــك النظـــرة التـــي وصفت من جانب البعض بأنها نظرة ناتجة عـــن وقوعهـــا ضـــحية للفكـــر التغريبي وآثاره(٥١). وفي المقابل كان كريم Karim الذي يبدو أنه يمثـــل وجهة نظر المؤلفة فيما ذهبت إليه حين رأت أن الأصـــالة الإفريقيـــة هـــي الأفضل. كما استخدمت المؤلفة شخصية كريم Karim لتشرح مـــن خلالـــه رؤية كل من كريم Karim ومونيكا Monika للثقافـــة الغربيـــة، ومـــدى استيعاب كل منهما لها. أما مونيكا Monika فقد لفت نظرها:

" Majumba makubwa makubwa, magari ya kila aina, magari yanayokwenda chini ya ardhi, madege, magari ya moshi kila kitu chao kinakwenda kwa mashine"(52)

المعنى: منازل فاخرة، وسيارات من كل نوع، قطارات أنفاق..طائرات.. قطارات. كل شئ عندهم يسير بشكل آلي.

هذا ما اهتمت به مونيكا Monika، أشياء ظاهرية دون أن تنفذ إلى بطن وجوهر الثقافة الغربية أو تغوص في قيمها، ومن ثم لم تغب شخـــصية كريم Karim التي جسدتها المؤلفة للرد علـــى مونيكـــا Monika، حيـــث بادرت برد سريع على ما ذكرته مونيكا Monika قائلة:

" Nakubiliana na wewe....wana ufundi wa kuunda....na sisi katika Afrika hatuna ujuzi huu...wanafanya kila jitahidi kutuzuia tusipate ili siku zote tulazimike kuwategemea wao"(53)

المعنى: اتفق معك، إن لديهم قدرة كبيرة على الابتكار، ونحن لا نمتلك هذه الخبرة في إفريقيا...يفعلون كل ما بوسعهم لمنعنا من الحصول عليها لكي نظل دائماً في حاجة إليهم.

لقد بينت المؤلفة خلافاً في النظرة إلى مظاهر الحياة الغربية وطرق تحليلها عند كل من كريم Karim ومونيكا Monika، وكان واضحًا أنها أعطت لشخصية كريم Karim الفرصة الكاملة والمساحة الأكبر لبيان وجهة النظر المدافعة عن الهوية الوطنية، وسبب ما وصلت إليه القارة الإفريقية من معاناة لم تكن لتلفت نظر مونيكا Monika أثناء دفاعها عن الثقافة الغربية. وقد أصرت المؤلفة على إن المجتمع الواعي لا يمكن أن يقع أفراده في صراع حضاري على الإطلاق. فالقضية هي قضية الوعي إذ إن الفرد الواعي هو ذلك الذي يأخذ من كل حضارة أفضلها وأحسنها وبما لا يتنافى مع حضارته وحضارة أجداده وآبائه فالحضارات تمثل الجانب المادي للثقافات والجانب المادي لا يتصارع من أحد .ولكن يمكن لمحدودي العقل والتفكير وأصحاب الأفق الضيق أن يقعوا في صراع الثقافات. وليس الحضارات ، إذ إن هذه القضية ليست قضية حديثة، بل قديمة وممتدة في الوقت نفسه، وتضرب بجذورها في أعماق التاريخ ومظاهرها ماثلة الآن في أشكال كثيرة(٥٤).

بعد ذلك تناولت المؤلفة ومن خلال شخصية كريم Karim نتيجة التقدم الغربي الحالي حتى تبطل كل ما يدور في عقل مونيكا Monika بل ويسيطر عليها من أن الثقافة الغربية هي الأساس والنموذج الذي ينبغي للناس بذل قصارى جهدهم للوصول إليه، لأنهم حاليًا في الغرب:

" Kila siku wamo katika kutafuta njia za kuvumbua silaha kubwa zenye hatari zaidi, na kila siku wamo katika kupigania kufika mbele zaidi kuliko wenzao"(55)

المعنى: يتنافسون بشكل يومي في البحث عن سبل لاختراع أسلحة الدمار الشامل، ويشتد الصراع والسباق فيما بينهم على من يسبق.

ويلاحظ هنا أن النقد الذي يتم الحديث عنه يتناول الجوانـــب الماديـــة للحضارة الغربية، وكذلك بيان آثارها السلبية على المجتمعات البشرية، دون أن يغفل الحوار الجوانب الروحية التي كان لها نصيب وافر هي الأخرى. إذ من الأهداف التي اقتنعت بها مونيكا Monika حين عادت مـــن الخـــارج، الأنانية وحب الذات، والاهتمام برغباتها الشخصية دون غيرها. الأمر الـــذي دعا المؤلفة إلى مناقشة هذه القضية حين جعلت شخصية كريم Karim هي المتحدثة عنها، واصفة التقدم الغربي وأثره على الحياة الروحية والإنسانية، والذي قال في سياق مناقشته لمونيكا Monika:

" **Ujuzi wao huo umeua kitu muhimu katika maisha yao, yaani ile roho ya kibinadamu. Au tuseme utu, mtu hana nafasi ya kumshughulikia mtu mwengine**"(56)

المعنى: هذه المعرفة قتلت شيئاً مهماً في حياتهم، تلك الروح الإنسانية أو لنقل الآدمية، فالإنسان لا فرصة لديه للاهتمام بغيره.

من خلال هذه المناقشة يتضح أن معظم الجوانب المادية والروحيـــة للحضارة الغربية لها سلبياتها، وذلك ما قصدت إليه المؤلفة عند تجـــسيدها لشخصية كريم Karim لتوضيح نتائج هذه النوعية من الحياة:

" **Matajiri unaosikia.....wana umaskini Fulani ndani ya nyoyo zao, utasikia taabu zao mara wanajiua, wanakula madawa mabaya mabaya.....wanatafuta sahau au amani katika nyoyo zao....sasa ndiyo wanahangaika kutafuta kile tulicho nacho sisi na ambacho hatukithamini: amani, utulivu wa roho na bila ya shaka imani**"(57)

المعنى: أثرياؤهم الذين تسمعين عنهم يفتقدون شيئاً ما فـــي قلـــوبهم، ستسمعين عن آلامهم، ينتحرون أحيانًا، يتعاطون المخدرات، يبحثـــون عـــن

النسيان أو الأمان في قلوبهم....يهتمون بالبحث عما نملكه نحن دون أن نقدر قيمته مثل: السلام، الهدوء النفسي، ومعهما الإيمان دون شك.

لم تحاول مونيكا Monika أن تتذكر هذه السلبيات، حيث فندتها المؤلفة من خلال شخصية كريم Karim، وجعلته يحصيها في حضور مونيكا Monika عن وعي وإدراك الشخصية التي عاشت في الخارج ضعف الفترة الزمنية التي عاشتها هي. هذا الوعْي والإدراك الذي جعل كريم Karim منصفاً في حكمه ومتوازناً في رؤيته للغرب، فبعد أن فند رؤية مونيكا Monika أجمل رؤيته في أن كل مكان يوجد فيه الحسن و القبيح، وما يؤخذ به ولا يؤخذ، وأن هناك في الغرب ما يستوجب الاحترام والتقدير، والأخذ به، كما يوجد ما يمكن جعله ملائما للواقع والبيئة الإفريقية(٥٨).

تلك النظرة الموضوعية التي ختمت بها المؤلفة الحوار بين كريم Karim ومونيكا Monika تبين أن مونيكا Monika ليست موضوعية فيما رأت، بل كانت بعيدة عن واقع مجتمعها، ومن ثم استحدثت شخصية كريم Karim لتصويب هذه الرؤية السلبية عند مونيكا Monika التي تمحورت حول التغريب. هذا الأمر الذي جعل مونيكا Monika تشعر في النهاية أن نظرتها للمجتمع الغربي كانت سطحية غير متعمقة، رغم حياتها هناك لفترة طويلة. وهو ما أكدته بنفسها في النهاية حين قالت:

" Kwa kweli mimi nilikwenda huko kama mwnafunzi tu, kwa hivyo maisha ya nje hasa sikuyaelewa"(59)

المعنى: الحقيقة أنني ذهبت إلى هناك كطالبة فقط، ومن ثم لم يتسن لي أن أفهم الحياة هناك بشكل جيد.

عندئذ بدأت مونيكا Monika في إعادة حساباتها، تفكر فيما آلت إليه أحوالها، إذ انتهى حلمها الذي عادت به من الخارج، وفقدت ثقتها في الجميع بعد الصدمات التي تعرضت لها، أما بعض أصدقاء والدها فقد قدموا

لها ما من شأنه أن يعيد لها اتزانها، حيث بذلوا جهوداً مخلصة لإعادتها إلى كنف أسرتها بعد الحصول على موافقة الأب لكن وفق شروط ثلاثة:

١-أن تبدي مونيكا Monika كامل الاحترام للأهل والجيران.

٢-أن تتحمل جانباً من نفقات المنزل.

٣-أن تقبل الزواج من ابن عمها.(٦٠)

ومن يتأمل هذه الشروط يجدها الشروط ذاتها التي حاولت مونيكا Monika الهروب من أعبائها، وتركت على إثرها البيت، وذهبت للمدينة لتعيش حياة اللهو والمجون دون رقيب أو حسيب، باعتبار أن من يلتزم بهذه الشروط هو ضحية للتخلف، ويناقض روح الحضارة أو المدنية.

وعادت مونيكا Monika إلى قريتها بعد أن فهمت الدرس لتبدأ حياةً جديدة في كنف أسرتها، ولتعيش حياة هادئة طبيعية تلفها أصول وجذور راسية ثابتة وضاربة في أعماق الحضارة والتاريخ، الأسرة التي هي مرآة لحياة الأمة، وترجمة لمشاعرها وخصائصها وثقافتها وحضارتها، والتي تمدها بأسباب القوة والبقاء، فترقى به ويرقى بها(٦١).

شخصية Muna

في مقابل شخصية مونيكا Monika، وما حدث منها، جسدت المؤلفة شخصية أخرى هي شخصية Muna، وجعلتها تواجه شخصية مونيكا Monika، فأضفت عليها ظلالاً من المثالية، وجعلتها تمثل طبقة اجتماعية بكل حضارتها المادية والمعنوية، وتطلعاتها الطبقية وتقاليدها ومهمتها في الحياة(٦٢). لقد بدأت في تصوير هذه الشخصية منذ عودتها من رحلتها الدراسية في الخارج وصورت لقاءها مع الأهل والأحباب:

" Walifurahi kumwona na yeye alionyesha furaha yake kwa kukaa na kuzungumza na kula

walichomwandalia ingawa alikuwa amechoka kwa safari ndefu"(63)

المعنى: فرحوا لرؤيتها وأبدت سعادتها بالجلوس والحديث معهم، وتناولت الطعام الذي أعدوه لها، رغم أنها كانت مرهقة بسبب رحلتها الطويلة.

لم تحدث لها إذاً صدمة حضارية بعودتها إلى مسقط رأسها، لقد عادت بشكل عادي وتقليدي إلى كنف الأسرة ودفئها، وإلى الحياة الطبيعية دون أن تظهر على شخصيتها أية تغييرات، فهي على حد تعبير المؤلفة:

" Aliyethamini yale aliyoyaacha na kuyarejea Muna, alielewa kuwa yeye ni mtoto wa wazee wake, na kwa heshima na mapenzi yake kwao hakutaka kujitenga nao hata shubiri moja. Kwa hivyo aliporejea aliingia palepale katika sehemu yake ya maisha bila ya kusabibisha mabadiliko makubwa"(64)

المعنى: قدرت ذلك الذي تركته وعادت إليه، فهمت منى Muna أنها ابنة والديها، لم ترغب في الانفصال عنهما ولو قيد أنملة، نظرًا لاحترامها وحبها لهما، لقد عادت إلى حياتها العادية بمجرد رجوعها ودون أن تتسبب في تغييرات كبيرة.

إن هذا يظهر حرص منى Muna على المحيط الأسري، والبيئة التي نشأت فيها، إذ لم يشعر من حولها بأي تغيير يذكر، كما لم تحاول هي أن تبدي أي تغيير يذكر تجاههم.

منى Muna ورؤيتها للعمل:

وسط هذا المحيط الأسري الدافئ غالباً ما يسود الاحترام والمودة بين أفراده، بل وتتاح الفرصة لمناقشة أية قرارات يتم اتخاذها، فحين قررت منى Muna البحث عن عمل جمعتها بوالديها جلسة هادئة في حوار هادئ

أظهرت المؤلفة من خلاله فكر هذه الشخصية، حيث لم ترد عملاً يدر عليهـا دخلاً مادياً يكفل لها حياة مادية مستقرة هادئة فحسب ولكنها:

" **Alitaka kazi hiyo ambayo inampa uhuru wa kuifanya kazi hiyo na kumpa hisi na kuwa anafanya kazi yenye maana kwa watu wengine**"(65)

المعنى: أرادت العمل الذي يجعلها تؤديه بحرية، ويعطيها إحساساً بأنها تؤدي عملاً ذا معنى لغيرها)

تلك كانت فلسفتها حول العمل الذي لم يكن الهدف من ورائـــه هـــدفا ماديًا، حيث لم تنظر إلى العائد المادي للوظيفة، بل كان هدفها الأساسي هـــو أداء عمل يفيد منه الآخرون. لقد التحقت بالجامعة للتدريس فيها، وحاولت أداء واجباتها على الوجه الأكمل، وفسرت المؤلفة إحـــساسها بهـــذا العمـــل وقيمته المعنوية والمادية هكذا:

" **Alifurahi na mashahara alioupata ingawa si mkubwa.....ikilinganisha na wa wenzake waliofanya kazi maofisini, viwandani na katika makampuni mengine**"(66)

المعنى: فرحت بالمرتب الذي حصلت عليه رغـــم أنـــه صـــغير.....إذا قورن بما يحصل عليه الذين يعملون في المكاتـــب والمـــصانع والـــشركات وغيرها.

هذه واحدة من السمات المميزة لمنى Muna، إذ لم تسع إلى ربـــح مادي فحسب، إنما إلى أهداف سامية أخرى مقارنة بهدف مونيكا Monika التي سعت للحصول على عمل يكفل لها الاستقلال في حياتهـــا بعيـــداً عـــن الأسرة وقيمها والتزاماتها.

منى Muna والتزاماتها الأسرية:

اعتبرت المؤلفة أن المساهمة في أعباء الأســـرة والتزاماتهـــا، تمثـــل أهمية كبيرة بالنسبة لهذه الفتاة، والدليل على ذلك ما اعتبرته أحـــد أســـباب

المشاكل الأسرية التي حدثت لمونيكا Monika هو عدم التزامها المادي تجاه أسرتها، خاصة وأن هذه الأسر قد أنفقت كل ما لديها على أولادها أثناء تعليمهم في الخارج. ومن ثم تنتظر منهم تحمل مسئولياتهم بعد رجوعهم إلى أسرهم وحصولهم على شهاداتهم على العكس من مونيكا Monika حين أشارت المؤلفة إلى أن منى Muna تحملت مسئولياتها تجاه أسرتها حين عبرت المؤلفة عن ذلك:

" Alishughulikia na kazi yake na kazi za nyumbani"(67)

المعنى: اهتمت بعملها و أعمالها المنزلية.

هنا تظهر المؤلفة عن طريق الجمع بين العملين المهني والمنزلي اللذين تمارسهما منى Muna أن أولهما لم يمنعها من أداء واجباتها المنزلية، الأمر الذي يشير إلى شدة التزامها تجاه عملها وتجاه أسرتها، وقدرتها على التوفيق بين هذين الالتزامين.

منى Muna والحرية:

أظهرت المؤلفة شخصية Muna منى، وأحاطتها بسياج من الاحترام في كل تصرفاتها من قبل كل من حولها، كما تحظى بالثقة في تصرفاتها من جانب أسرتها، وذلك حين تناولت هذا الجانب تفصيلاً قائلة:

" Muna alikuwa na uhuru wa kutoka, kwenda na kurudi, kuonana na wenzake, kwenda madukani na senima bila ya kuzuiliwa wala kuhojiwa na wazee"(68)

المعنى: كان لدى منى Muna من الحرية في الخروج والذهاب والإياب ورؤية أصدقائها والتسوق والذهاب للسينما دون منع أو سؤال من الوالدين.

تلك كانت لمحة إلى مدى الثقة التي تتمتع بها منى Muna من قبل والديها وأسرتها منذ عودتها، وما اتسمت سلوكياتها من وعي وسلاسة دون

أدنى تعليق يذكر من الأسرة أو الجيران يماثل ما كان يحاك حـــول مونيكـــا Monika.

ولم تنس المؤلفة أن تبرر هذا الوضع من جهة والديها اللذين وثقـــا في شخصها وفي تصرفاتها اعتماداً على سلوكها في الخارج فالأب:

" Alihisi kuwa huko nje alikokuwa hakuwa na baba wala mama na alikuwa na uhuru wa kufanya atakavyo, kwa hivyo amekwisha mtu mzima wa kuweza kujiangalia mwenyewe na kujua nini anafanya"(69)

المعنى: شعر الأب أنها في الخارج لم يكن هنـــاك أب ولا أم، لقـــدكان لديها الحرية لتفعل ما تريد، فقد أصبحت واعية يمكنها أن تحافظ على نفسها بنفسها وتقرر ما تريده.

هكذا كانت رؤية الأب الواثق من تصرف ابنته، وإدراكهـــا وتحملهـــا للمسئولية أثناء وجودها وحدها في الخارج دون رقيب أو حسيب، وبالتـــالي فإن هناك نوعًا من الثقة في تصرفات هذه الابنة، حيث وصفتها المؤلفة:

" Alimwamini kabisa na kujua ni kuwa hatafanya lo lote baya au litakalomvunja heshima yake na aliweza kumshawishi mkewe pia hata akayakubali hayo"(70)

المعنى: وثق بها ثقة مطلقة، أدرك أنها لن تقدم علـــى ارتكـــاب أيـــة مخالفة أو ما يحط من كرامتها، وتمكن من إقناع زوجته بقبول هذا الوضع.

وهذه الثقة التي أولتها الأسرة لابنتها تدل على أنها كانـــت ملتزمـــة أخلاقياً ولم يظهر عليها أي خروج على الآداب والتقاليد رغم حياتهـــا فـــي الغرب، والاندماج في مجتمعها لفترة طويلة، كما لم يلحظ أي إنـــسان مـــن حولها تغيراً يستوجب لفت النظر أو المحاسبة، بل هناك ثقة غيـــر محـــدودة متبادلة بينها وبينهم. أضف لذلك أن هذه الثقة قد تعاظمت بمجرد إحـــساس منى Muna بالمسئولية الذي بدا واضحاً من سلوكياتها، وهو ما أشـــارت

إليه المؤلفة حين وصفت رد منى Muna على هذه الثقة التي منحها لها والدها قائلة:

" Muna aliwashukuru wazee wake kwa hayo na alikuwa na furaha kujiona ni kiumbe na mwenye kuaminika, kwa upande wake alijaribu asifanye lo lote litakalo waudhi au kuwakera wazee wake"(71)

المعنى: شكرت منى Muna والديها على هذا، وكانت سعيدة أن ترى نفسها حرة موثوقا بها، ومن ناحيتها لم تحاول أن ترتكب ما يؤذي والديها أو يضايقهم.

لم تفكر أبداً في أي تصرف يؤذي الوالدين أو يؤذي مشاعرهما بل إن حياتها كلها لم تكن إلا:

" ...Fikira, matendo na kazi"(72)

المعنى: .....أفكاراً... أفعالاً....وأعمالاً.

لقد سيطرت إذن ثلاثة عناصر رئيسية على تصرفات منى Muna تعودت عليها حين كانت في الخارج، حيث لم يلحظ من حولها أية تغييرات سلبية تذكر في تصرفاتها أو سلوكياتها أو تأثرها بأية سلوكيات غريبة جاءت معها من الخارج، بل هي كما يبدو منضبطة في جميع تصرفاتها، وتحظى بثقة مطلقة من الأسرة، رغم حياتها الطويلة وحدها في الخارج، لكنها وعلى حد وصف المؤلفة:

" aliporejea aliingia palepale katika sehemu yake ya maisha bila ya kusabibisha mabadiliko makubwa, hata wazee na ndugu zake, majirani na jamaa mara mingi walisahau kabisa safari zake na shahada zake na lugha za kigeni alizoweza kuzitumia"(73)

المعنى: حين عادت اندمجت في حياتها دون أن تتسبب في أية تغييرات ضخمة، حتى والديها وإخوتها والجيران والأهل كثيراً ما نسوا تماماً سفرها إلى الخارج ومؤهلاتها ولغاتها الأجنبية التي استطاعت أن تستخدمها.

هكذا تؤكد المؤلفة على مدى السهولة والسلاسة التي بـــدت عليهـــا حياة منى **Muna** منذ عودتها من الخارج، إذ لم يطرأ عليها ما يعكر صـــفو حياتها العادية، أو حياة أسرتها أو جيرانها، ولم يحدث لها أي مصادمات أو خلافات مع أحد نتيجة دراستها أو تعليمها في الخارج.

وحاولت المؤلفة أن تبين أوجه الخلاف والاتفاق بين كل مـــن منـــى **Muna** ومونيكا **Monika**، إذ لم يحدث أي اتفاق بين الشخصيتين اللتـــين سافرتا للخارج لفترة زمنية واحدة إلا أنهمـــا تربيتـــا فـــي كنـــف أســـرتين متشابهتين من حيث الوضع المادي، وعادتا إلى مكان واحد.

خاتمة الدراسة

رصدت المؤلفة التغيرات التي تطرأ على الذين يسافرون للخارج لتلقي التعليم، والحياة خارج أوطانهم لفترة زمنية، مسلطة الضوء على السيدات بشكل خاص، ربما لأنها هي نفسها قد خاضت هذه التجربة، وبالتالي ترى تجسيدها لهذه التغييرات هي أقرب إلى الواقع. وبناءً على رؤية هذه المؤلفة يمكن ملاحظة عدد من النقاط المهمة:

١– أفردت المؤلفة الجزء الأهم والأكبر للشخصية الرئيسية مونيكا Monika، وتناولت أبعاد الشخصية بشكل تفصيلي، ولم تبرز لها إيجابية واحدة، سواء على صعيد تصرفاتها أو في معتقداتها. لقد كان تركيزها على الجوانب السلبية للشخصية فقط، وكأنها قد صبغت تماماً بصبغة غربية أبعدتها عن مجتمعها، بينما أعطت المساحة الأقل لشخصية منى Muna وأسهبت في تصوير إيجابياتها، وكيف استفادت من تعليمها في الخارج عندما وظفت إيجابيات هذا التعليم في الداخل. وكانت النتيجة أن حظيت هذه الشخصية بإعجاب كامل وتام من الجميع بمجرد وصولها من الخارج.

٢– جسدت المؤلفة الفارق في مفهوم كلتا الشخصيتين، وتأثر كل منهما بالتغريب في عدد من النقاط الهامة على النحو التالي:

(أ) شعرت مونيكا Monika بعدم أهمية العلاقات الاجتماعية، ومن ثم انعكس هذا على توتر علاقتها بأسرتها ممثلة في الأب والأم والجيران وحتى رفاقها. وقد ظهر هذا منذ أن وطأت قدماها أرض المطار عائدة إلى بلادها، في المقابل كان إحساس منى Muna عكس ذلك تماماً، إذ شعرت بقربها من الأهل والجيران، وأشعرتهم بأهمية هذه العلاقات الاجتماعية، ودورها في بناء مجتمع قوي متماسك.

(ب) كانت وجهة نظر مونيكا Monika أن العمل يهدف إلى تحقيق الجوانب المادية التي توفر لها حياة لاهية وعابثة، وليس للعمل كهدف تسعى من خلاله لتحقيق مكانة وهدف أسمى، كما فكرت منى Muna وقررت العمل في مجال يحقق لها راحة نفسية وأملاً طالما تمنت الوصول إليه، كهدف أولي حتى وإن در عليها دخلا أقل من المرتجى.

ج- اختلف مفهوم مونيكا Monika للحرية عن مفهومها لدى منـــى Muna، فبينما اعتبرت مونيكا Monika أن الحرية هي حرية مطلقـــة لا قيود فيها، فهمت منى Muna الحرية على أنها حرية واعية مسئولة تحسن استخدامها لما فيه مصلحتها ومصلحة الآخرين.

٣- لم تنس المؤلفة استدعاء شخصية كريم Karim لمناقشة فهم مونيكا Monika على وجه الخصوص لموضوع الحرية، وتفنيد فهمها للحياة في الغرب والشرق، والفوارق بينهما.

أما البعد الفلسفي من استحداث هذه الشخصية وفق رأي بعض النقاد:

" Mbinu mojawapo inayotokeza katika mjadala wao hotelini ni kwelikinzani [paradox] pale ambapo Karim anasisitiza jinsi inavyowezekana watu waliosoma wakawa wajinga"(74)

المعنى: المفارقة(٧٥) أحد الاتجاهات التي ظهرت في حوارها في الفندق، ذلك حين ركز كريم Karim على كيفية أن يكون بعض المثقفين قد وصلوا من خلال دراستهم إلى أنصاف مثقفين.

فقد حاولت مونيكا Monika أن تظهر بأنها تفهم الثقافـــة الغربيـــة بشكل جيد، ولكن بالمناقشة الجادة من جانب كريم Karim تأكد لهـــا أنهـــا تناقض نفسها، وأنها أخطأت في تفسيرها وفهمها لقيم الحـــضارة الغربيـــة، ومقارنتها بقيم وحضارة الثقافة الإفريقية.

٤- أوضحت المؤلفة أن التغريب في مجمله ليس كله خيرًا وليس كلـــه شرًا، فإن كانت شخصية مونيكا Monika قد فهمت الثقافة الغربية بـــشكل خاطئ كما اتضح من خلال سرد أحداث الرواية، فإن شخصية منـــى Muna قد بينت أن هناك من فهم الثقافة الغربية بشكل جيد، وطبقهـــا بـــشكل أثـــار إعجاب الجميع. كما كان لاستحداث شخصية كريم Karim التـــي عاشـــت فترة طويلة في الغرب، دورًا في إلقاء الضوء على المجتمعات الغربية، ومـــا يكتنفها من سلبيات لا يجب أن تنقل للمجتمعات الإفريقية الفخورة بما حققته من خصوصية، وتطور نابع منها ومن أصالة أبنائها.

أولاً المراجع العربية:

- راغب، نبيل: ***التفسير العلمي للأدب، نحو نظرية علمية جديدة***. المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- راغب نبيل: ***موسوعة الفكر الأدبي***، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- الشوبكة، سمية: ***التراث والبناء في أعمال محمد جبريل الروائية***، الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة، ٢٠٠٥م.
- عبد المقصود، خالد بكري: ***الرواية السواحيلية المعاصرة في تنزانيا***، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغات الإفريقية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر ٢٠٠٠م.
- عثمان، عبد الفتاح: ***بناء الرواية***. مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- وادى، طه: ***دراسات في نقد الرواية***، دار المعارف. القاهرة،١٩٩٢م.

ثانياً المراجع الأجنبية:

- Ang'ana. H. ***mwongozo wa mwisho wa kosa***, Ashley system. Nairobi, 2006.
- Bakhressa. K. Salim: ***Kamusi ya maana na matumizi***, oxford university press. Nairobi. 1992.
- Bertoncini, ***Outline of Swahili Literature***, E.R.Brill.
- Burhani. Z. ***Mwisho wa kos***a, Longman publishers. Nairobi. 1987.
- Johnson, Frederick: ***Standard Swahili – English Dictionary***, Oxford university press. 1971.
- Kamusi- ya Kiswahili, ***Tasisi ya uchunguzi ya Kiswahili***. Oxford university press, Dar es salam, Second edition 2004.
- Kombo na irungu: ***mwongozo wa mwisho wa kosa***. Top achievers publishers, Chapa cha Pili, Nairobi, 2006.
- Madumulla, ***Mikondo ya Riwaya ya Kiswahili-Riwaya ya Kiswahili***, Dar Essalam University Press, Tanzania, 1991.

- Njogo – Kimani: ***Uhakiki wa Riwaya za visiwani***, Zanzibar, Nairobi University Press, Nairobi, 1997.
- Wamitila. K. W.: ***Kamusi ya fasihi, istilahi na nadharia***, Focus Books. Nairobi.2003.
- Wamitila. K. W: ***Kichocheo cha Fasihi Simulizi na Andishi***, Focus Books, Nairobi, 2003.
- Wamitila. K. W: **Mwongozo wa Mwisho wa Kosa.** , Ride – muwa publishers, Limited. Nairobi. 2005.

هوامش البحث:

1- Kamusi- ya Kiswahili, Tasisi ya uchunguzi ya Kiswahili. Oxford university press, Dar es salam, Second edition 2004 , uk 152

*** Johnson, Frederick. Standard Swahili – English Dictionary. Oxford university press. 1971. uk. 183.**

*** Bakhressa. K. Salim. Kamusi ya maana na matumizi, oxford university press. Nairobi. 1992. uk. 148.**

[2] - Wamitila. K. W. Kamusi ya fasihi, istilahi na nadharia, focus Books. Nairobi.2003. uk. 285.

[3] - Wamitila. K. W. mwongozo wa mwisho wa kosa, Ride – muwa publishers, Limited. Nairobi, 2005, uk. 29.

– [4]- Wamitila.k.w.uk.8

[5] – راغب نبيل. التفسير العلمي للأدب. نحو نظرية علمية جديدة. المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ١٩٨٠، صـــ١٣٩.

[6] – وادى، طه. دراسات في نقد الرواية. دار المعارف. القاهرة ١٩٩٢. ص ٢٦.

[7] - Burhani. Z. Mwisho wa kosa, Longman publishers. Nairobi. 1987. uk. 3.

[8] - Burhani. Z. uk. 4.

[9] - Ang'ana. H. mwongozo wa mwisho wa kosa, Ashley system. Nairobi, 2006, uk. 30.

[10] - Burhani. Z. uk. 5.

[11] - Burhani, uk. 58.

[12] - Burhani, uk. 58.

[13] - Burhani.Z, uk. 58.

[14] - Burhani.Z ,uk. 58.

[15] - Burhani . Z, uk. 58.

[16] - Burhani. Z, uk. 58.

[17] - Burhani, uk. 59.

[18] - Burhani, uk. 59.

[19] - Burhani, uk. 3.

[20] - Burhani, uk. 4.

[21] - Burhani . Z, uk. 6.

[22] - Burhani, uk. 7.

[23] - Burhani. Z, ku. 97-98.

[24] - Ang'ana. H. mwongozo wa mwisho wa kosa, Ashley system. Nairobi, 2006, uk. 31.

[25] - Burhani . Z, uk. 59.

[26] - Burhani . Z, uk. 9.

[27] - irung, Moses njogu, B.k. kombo. mwongozo wa mwisho wa kosa. Top achievers publishers, Chapa cha Pili, Nairobi, 2006. uk. 5.

[28] - Burhani. Z, uk. 11.

[29] - Burhani .Z, ku. 11-12.

[30] - Burhani.Z, uk. 11-12.

[31] - Burhani .Z, ku. 12.

[32] - Burhani.Z, uk. 16.

[33] - Burhani .Z, ku. 12.

[34] - Burhani .Z, uk. 12.
[35] - Burhani .Z, uk. 13.
[36] - Burhani .Z, uk. 13.
[37] - Burhani.z, uk. 4.
[38] - Burhani. Z, uk. 8.
[39] - Burhani. Z, uk. 56.
[40] - Burhani.Z, uk. 56.
[41] - Wamitila. K. W. mwongozo wa mwisho wa kosa. , Ride – muwa publishers, Limited. Nairobi. 2005. uk. 34.
[42] - Wamitila. K. W. mwongozo wa mwisho wa kosa. , Ride – muwa publishers, Limited. Nairobi. 2005. uk. 35.
[43] - Burhani,z, uk. 76.
[44] - Wamitila. K. W. mwongozo wa mwisho wa kosa. , Ride – muwa publishers, Limited. Nairobi. 2005. uk. 35.

[45] - kombo na Iringu, mwongozo wa mwisho wa kosa. Top achievers publishers, Chapa cha Pili, Nairobi, 2006. uk. 8.
[46] - Burhani, Z, uk. 143.
[47] - Burhani. Z, uk. 143.
[48] - Burhani. Z, uk. 144
[49] - Burhani. Z, ku. 251 – 254.
[50] - Burhani.Z, uk. 146.
[51] - Wamitila. K.w. Uk.35.
[52] - Burhani.Z, uk. 146.
[53] - Burhani.Z , ku. 146 – 147.

[54] – الشوبكة، سمية: التراث والبناء في أعمال محمد جبريل الروائية. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. ٢٠٠٥، صـ١٦١.

[55] - Burhani. Z, uk. 148.

[56] - Burhani.Z, uk. 148

[57] - Burhani.Z, uk. 151.

[58] - Burhani. 2. uk. 152.

[59] - Burhani. 2. uk. 152.

[60] - Wamitila. K.w. Uk.26.

[61] – الشوابكة، سمية: صـ١٩١.

[62]– عثمان عبد الفتاح. بناء الرواية. مكتبة الشباب. القاهرة، ١٩٨٢، صـ١٢٢.

[63] - Burhani. Z uk. 34.

[64] - Burhani. Z, uk. 34.

[65] - Burhani. Z, uk. 33.

[66] - Burhani. Z, uk. 34.

[67] - Burhani.Z, uk. 35.

[68] - Burhani. Z, uk. 35.

[69] - Burhani. Z, uk. 35.

[70] - Burhani. Z, uk. 35.

[71] - Burhani. Z, uk. 35.

[72] - Burhani. Z, uk. 35.

[73] - Burhani. Z, uk. 35.

[74] - Wamitila. K.w. Uk.22.

[75] – المفارقة: إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما. وهبة، مجدي: معجم مصطلحات الأدب: مكتبة لبنان، بيروت ١٩٤٧، صـ٣٨١.